سرعة الانتقال من الهواء الكثيف الى اللطيف فلا علاج لهُ

واذا زاد انضغاط الهواء كثيراً كما يزيد في نافوس الغواصين فقط ضرر كثير سببهُ كثرة الاكسيجين في ما يتنفسهُ الحيوان منهُ لانهُ اذا قلَّ اكسجينهُ حتى يكون مقداره فيهِ مضغوطاً كمقداره فيهِ غير مضغوط لم يكن منهُ ضرر. الاَّ ان الجسم يعتاد كثرة الاكسجين وقلتهُ اذا عوّد عليهما رويداً رويداً. ثم ان غواصي الهنود يغوصون الى اعماق البحر ولا يشعرون بضرر ويسكن بعض الناس في اعالي الجبال ولا يشعرون بتعب كأن كريات الدم تعتاد ان تأخذ من الاكسيجين كفافها سواء قلَّ او كثر بل يحدث فيهِ ما هو اغرب من ذلك وهو ان الذين يسكنون في الجبال العالية تكثر كريات الدم في دمهم حتى يستعيض بكثرتها عن قلة ما تمتصهُ كل كرية منها. وقد ثبت ذلك كلهُ بالامتحان وعُلِّلت بهِ فائدة سكنى الجبال العالية للمصابين بفقر الدم وغيره من الامراض الدمنية

مصر في خمسة عشر عاماً

الارتقاء سنَّة الكون لكن هذه السنة لا تشمل كل الاحياء ولا تجري عليها الاحياء دائماً فمنها عالم يرتقي منذ الوف بل ملايين من السنين كبعض انواع الاصداف والحشرات التي وجدت في العصور الجيولوجيَّة القديمة ثم هي لم تزل على حالتها الاولى مع ان غيرها من الاحياء التي وُجدت معها ارتقت رويداً رويداً من البسيط الى المركَّب ومن السادج الى المتقن. والاحياء التي ارتقت لم تسر في خطط الارتقاء دائماً بل بعضها عاد القهقرى وهو الآن دون ما كان عليهِ في العصور الاولى. وهذا شأن طوائف الناس فبعضهم لم يزل على الهمجيَّة الاولى كاهالي استراليا وبعض اهالي افريقية وبعضهم انحطَّ كثيراً بعد ارتقائهِ او تضعضع حالهُ وفني او كاد يفنى كاكثر الامم القديمة التي كان لها الملك والصولة في غابر الازمان. وبعضها ارتقى رويداً رويداً ولا يزال آخذاً في الارتقاء. لكنَّ مجموع الناس آخذٌ في الارتقاء مثل مجموع الاحياء كلها ولو انحطَّت امم كثيرة منهم ولهذا صح القول ان الارتقاء سنَّة الكون

وسيْر الارتقاء بطيء في غالب الاحيان لكنهُ قد يكون سريعاً جدًّا كما حدث في الولايات المتحدة الاميركيَّة وفي بلاد يابان فان الولايات المتحدة تنمو مدنها نمو القطر في الغابات

تختطُّ المدينة اليوم ولا تمضي عليها سنة حتى يصير فيها الوف من السكان ثم ولا تمضي عشر سنوات حتى يصير سكانها يعدون بعشرات الالوف . وكل اساليب الحضارة ونتائج العمران تسير فيها سيراً حثيثاً. وهذا شأن بلاد يابان وحسبنا شاهداً على ذلك ما ذكرناهُ عنها في الجزء الماضي

وهذا الارتقاء السريع في اقصى المشرق واقصى المغرب لهُ مثيل في هذا القطر من بعض الوجوه ان لم يكن من كلها فقد قابل المستشار المالي بالامس حالة القطر المصري منذ خمسة عشر عاماً بحالتهِ الآن فظهر بين الحالتين فرق كبير يدلُّ عَلَى ارتقاء نادر المثال وذلك في اربعة وعشرين باباً وسنلخص بعض ما اوردهُ فيها تذكرة للقراء ونردفهُ بما نتمُّ بهِ الفائدة

(١) عدد السكان * بلغ عدد سكان القطر المصري في العام الماضي ٩٧٣٤٤٠٥ وكان منذ خمسة عشر عاماً ٦٨١٣٩١٩ فيكون قد زاد ٢٩٢٠٤٨٦ نفساً في ١٥ عاماً اي ٤٣ في المئة . والزيادة في الوجه القبلي اكثر منها في الوجه البحري وبين الوطنيين اكثر منها بين الاجانب . ولا مثيل لمذهِ الزيادة الآن الاَّ في بلاد روسيا حيث كان عدد السكان سنة ١٨٥٠ نحو ٦٧ مليوناً فصاروا الآن ١٢٩ مليوناً اي انهم تضاعفوا في نحو ٤٦ سنة. وقد تضاعف سكان الولايات المتحدة الاميركية في عشرين سنة من ١٨٤٠ إلى سنة ١٨٦٠ ثم تضاعفوا في ثلاثين سنة من سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٨٩٠ ويظهر من ازديادهم السنوي الآن انهم سيتضاعفون في اربعين سنة فقد كانوا نحو ٦٣ مليوناً سنة ١٨٩٠ وسيبلغون ١٢٦ مليوناً سنة ١٩٣٠ اذا دامت زيادتهم جارية مجراها الآن . لكن الولايات المتحدة لا يقاس عليها لكثرة المهاجرين اليها فيبقى القطر المصري في مقدمة البلدان من حيث نمو سكانهِ

(٢) دخل الحكومة * بلغ دخل الحكومة المصرية في العام الماضي اكثر من ١١ مليوناً من الجنيهات وكان منذ خمسة عشر عاماً اقل من تسعة ملايين الاَّ ان هذه الزيادة ليست من الضرائب المفروضة على الاطيان (الاراضي الزراعيَّة) بل من دخل سكك الحديد والجمارك . اما ضرائب الاطيان فقد كانت في العام الماضي اربعة ملايين و ٧٧٦ الفاً من الجنيهات وكانت منذ خمسة عشر عاماً نحو اربعة ملايين و ٩٥٠ الفاً مع ان مساحتها زادت الآن عما كانت قبلاً ٥٧٠١٢٧ فداناً . وكان متوسط ضريبة الفدان سنة ١٨٨٢ نحو مئة وثمانية غروش فبلغ الآن تسعين غرشاً لقط . وقد أُنقصت الاموال المقررة ٧٣٠ الف جنيه في سنة والاموال غير المقررة ١٨٦ الف جنيه في السنة . اما الزيادة في دخل سكك الحديد فمن اتساع نطاقها وكثرة استعمال الناس لها . والزيادة في دخل الجمارك من منع زراعة التبغ في القطر المصري وفرض مكس كبير عَلَى ما يرد منهُ من الخارج . ومنعُ زراعتهِ

لم يضرَّ الاَّ بالناس قليلين قد لا يزيدون على مئة نفس لان كل ما يمكن استعمالهُ من التبغ المصري يمكن ان يستغلَّ من نحو عشرة آلاف فدان وهذه قد يستأثر بها عشرة من الاروام الباذرين في زرع التبغ فلا يستطيع احد ان ينافسهم . واذا كثر المنافسون وزادت الغلة السنوية عمَّا يستعمل منها في السنة ضعفين او ثلاثة هبطت الاسعار هبوطاً فاحشاً . ومعلوم انهُ لا سبيل لاصدار التبغ المصري الى البلدان الاجنبيَّة كالتبغ التركي لان نوعهُ دقيق لا يرغب فيهِ الشاربون فيضطرُّ الذين يزرعونهُ ان يعدلوا عن زرعهِ بخسٍ ثمنهِ . ويترائى الاضطراب بضع سنوات الى ان يعلم اهل الزراعة ان لا يزرعوا من التبغ في القطر المصري كلهِ الاَّ نحو عشرة آلاف فدان وتحتصر هذه الزراعة في الذين هم اسهر من غيرهم فيها . وهذا شأنهم الآن في زراعة الكركم والسعتاع والبنفسج وما اشبه ذلك وهي اغلى من التبغ واربح منهُ زراعة ولكننا لا نرى اهالي القطر المصري يتركون زراعة البرسيم والشعير والذرة و يزرعونها لانهم يعلمون ان "المقطوعيَّة" منها قليلة جدًّا فاذا ابطلوا زراعة البرسيم وزرعوا بدلاً منهُ تعتاعاً او تفسيحاً خرب القطر المصري في سنة واحدة

وليس من الاشفاق على الناس ان يزاد مكس التبغ كما زادتهُ الحكومة المصرية ولكن اذا كان لا بدَّ لها من المال لنفقاتها العادية فأحرِ بها ان تأخذهُ من الذين يحرقون اموالهم بايديهم لان من يستغنُّ بالمال حتى يحرقهُ لغير منفعة لا يحقُّ لهُ ان يعتب على الحكومة اذا اخذت جانباً من هذا المال وخفَّفت الضرائب ببعضهِ وزادت اجور المستخدمين بالبعض الآخر بعد ان استخدمت جانباً منهُ لاطفاء الجمرة التي كانت من شرّ الآفات على هذا القطر

(٣) تخفيف الاموال المقررة * اما كون الضرائب خُفِّفت فواضح من ان مال الاطيان كان منذ خمس عشرة سنة ٤٩٥٠٧٧ جنيهاً وكانت مساحة الاطيان الزراعية حينئذٍ ٤٧٥٨٤٧٤ فداناً فبلغ مال الاطيان في العام الماضي ٤٧٧٦٦٣٩ جنيهاً فقط و بلغت مساحة الارض الزراعيَّة ٥٣٢٨٦٠٠ فدان. وكانت بقية الاموال المقررة ٣٧٢٩٧١ جنيهاً فبلغت في الماضي ١٤٧٩٤٧ جنيهاً فقط اي انها نقصت ٢٢٥ الف جنيه . وقد زيدت ضريبة جديدة على السكك الزراعية بلغت في العام الماضي نحو عشرين الف جنيه لكن فوائد هذه السكك تقدَّر بالوف بل بمئات الالوف من الجنيهات . ومعلوم ان الاموال المقررة هي التي يشترك في دفعها جمهور الاهالي فتخفيفها منفعة عامَّة

(٤) عدد المالكين * الظاهر ان المستشار المالي لم يعثر على عدد المالكين في سنة ١٨٨٢ ولا في ما بعدها الى سنة ١٨٩٦ فقابل بين عدد المالكين فيها وعددهم سنة ١٨٩٧ فوجد

انهم كانوا ٩٨٩٥٥٤ فصاروا ١٠٢٠٥٤٠ اي زادوا ٣٠٩٨٦ نفساً في سنة واحدة. واكثر هذه الزيادة من صغار الفلاحين الذين يملك الواحد منهم اقل من خمسة فدادين. ومعلوم ان كل واحد من هؤلاء المالكين يمثل عائلة مؤلفة من زوج وزوجة وثلاثة اولاد او اربعة فتكون الارض الزراعية موزعة على نحو ستة ملايين نفس من سكانها اي على نحو ستة اعشار السكان وهو توزيع حسن نودّ ان يدوم فلا يستأثر الاغنياء بالارض وخيراتها. بل حبذا لو وضعت الحكومة قاعدة تزيد هذا التوزيع وتمنع اهل الثروة من استمال ثروتهم لابتياع الالوف الكثيرة من الفدادين كما تمنع اقوياء الابدان من استعمال قوتهم لمضرة غيرهم

(٥) الاموال غير المقرَّرة * قلنا ان بعض الاموال غير المقررة نقص وبعضها زاد اما الاموال التي نقصت فعوائد الملح وقد كانت اكثر من ٢٠٠ الف جنيه فبلغت في العام الماضي نحو ١٩١ الف جنيه مع ان كمية الملح المستعمل تضاعفت كما سيجيء في البند التالي. وكذلك نقصت عوائد الاسماك والملاحة والتمغة. واما التي زادت فعوائد الجمارك فقد زادت المكوس التي على البضائع العمومية من ٣٥١ الف جنيه الى ٩٣٥ الف جنيه وهذه الزيادة تدلّ على كثرة الوارد وزيادة الثروة وزاد مكس التبغ من ٩١ الف جنيه الى مليون و٤٤ الف جنيه وقد شرحنا ذلك في البند (٣) وزادت ايضاً رسوم الموانىء وهي من السفن الاجنبية ثمن زيادتها ربح للبلاد فضلاً عن انها تدلّ على اتساع التجارة ولذلك فانقاص ما نقص وزيادة ما زاد من الاموال غير المقررة من دلائل التقدم والارتقاء

(٦) الملح * كانت الاموال التي تؤخذ ثمن الملح في السنة منذ خمسة عشر عاماً ٢٠٠١٨٠ جنيهاً فبلغت في العام الماضي ١٩١٥٨١ فقط ولا يُعلَم كم كانت كمية الملح منذ خمسة عشر عاماً ولكنها كانت ٢٤ الف طن سنة ١٨٨٦ فبلغت ٤٨ الف طن سنة ١٨٩٧ ومع ذلك هبط الثمن الذي تقاضتهُ الحكومة من ٢٠١٥٨٠ جنيهاً الى ١٩١٥٨٠ جنيهاً اي تضاعفت كمية الملح لكن ثمنهُ لم يتضاعف بل نقص عمّا كان. وكان ربح الحكومة من الملح سنة ١٨٨٦ نحو ١٣٢ الف جنيه فبلغ ربحها في العام الماضي اكثر من ١٣٥ الف جنيه مع نقص الثمن الذي دفعهُ الناس وزيادة المقدار الذي استعملوهُ وهذا من الغرابة بمكان عظيم ومن اوضح الادلة على تحسن الادارة

(٧) سكك الحديد * كان دخل سكك الحديد منذ خمس عشرة سنة نحو مليون ومئتي الف جنيه فبلغ في العام الماضي نحو مليوني جنيه وكان طول السكك الحديدية ٩٤٤ ميلاً فبلغ في العام الماضي ١١٥٦ ميلاً وكان عدد الركاب في الدرجة الاولى نحو ٧١ الفاً في

الثانية ٣٤٨ الفاً وفي الثالثة مليونين و٩١١ الفاً فاصبح في الدرجة الاولى ١٧٦ الفاً وفي الثانية مليوناً و١٥٣ الفاً وفي الثالثة تسعة ملايين و٤١٢ الفاً . وكان ثقل البضائع ألتي نقلتها سكك الحديد ٩٧٧ الف طن فبلغ مليونين و٢٩٦ الف طن . فركاب الدرجة الاولى تضاعفوا وركاب الدرجة الثانية والثالثة زادوا اكثر من ضعفين وكذلك زادت البضائع اكثر من ضعفين لكن الدخل لم يزد على هذه النسبة لان الاجور رخصت كثيراً رفقاً بالاهالي

(٨) التلغراف * كان عدد الرسائل التلغرافية منذ خمسة عشر عاماً ٥٣٢ ٥٨٨ فبلغ في العام الماضي ٢٤٩٨٨٣٤ اي زاد نحو اربعة اضعاف لكن الاجرة ألتي اخذتها الحكومة على ارسال هذه التلغرافات كانت منذ خمسة عشر عاماً ٩٧٩ ٤٩ جنيهاً فبلغت في العام الماضي ٣٩١ ٤٦ اي انها نقصت ٥٨٨ ٣ جنيهاً فكأن الحكومة ساعدت السكان بنحو مئتي الف جنيه وذلك لانها كانت تأخذ اجرة العشر الكلمات الاولى من عشرة غروش الى ٣٥ غرشاً . اما الآن فتأخذ غرشين فقط على كل ثماني كلمات

(٩) البريد * نجاح البريد (البوسطة) عظيم مثل نجاح التلغراف او اعظم فقد كان عدد المكاتيب المرسلة داخل القطر منذ خمس عشرة سنة ثلاثة ملايين وثلث مليون فبلغ في العام الماضي احد عشر مليوناً وثلث مليون. وكان عدد الجرائد المرسلة داخل القطر مليوناً وثلاثة ارباع المليون فبلغ في العام الماضي سبعة ملايين . وكان عدد طرود البوسطة داخل القطر ١٥ الفاً فبلغ في العام الماضي ١٧٣ الفاً. وكان عدد تحاويل البوسطة داخل القطر ٤٣ الفاً وقيمتها ٤٢٨ الف جنيه فبلغ عددها في العام الماضي ٣٦٥ الفاً و بلغت قيمتها نحو مليوني جنيه . وكانت قيمة صرر النقود المرسلة بالبريد نحو ثمانية ملايين جنيه فبلغت في العام الماضي نحو ١٥ مليون جنيه . فقد زادت اعمال مصلحة البريد كلها اضعافاً كثيرة في خمس عشرة سنة مع ان السكان لم يزيدوا سوى اربعة اعشار. اما نفقات هذه المصلحة فكانت ٨٥ الف جنيه منذ خمس عشرة سنة فصارت ٩٧ الف جنيه لا غير اي ان عملها زاد اربعة اضعاف او اكثر لكن نفقاتها زادت اقل من ١٥ في المئة . وقد يظن لاوّل وهلة ان الاجور ألتي اخذتها من الاهالي زادت على نسبة زيادة الاعمال ألتي عملتها لهم وليس الامر كذلك فان دخلها كان ٨٣ الف جنيه منذ خمس عشرة سنة فبلغ في العام الماضي ١١٨ الف جنيه لا غير اي انهُ زاد نحو الثلث فقط مع ان عملها زاد اربعة اضعاف . وكان عدد مكاتب البريد ١٦٢ فقط فبلغ في العام الماضي ٧٥١ مكتباً لكي يعمّ نفعها البلاد كلها

لكنَّ هٰذا الارتقاء المطرد في البريد لا يشتمل بواخر البريد اي بواخر البوسطة

المصرية فان هذه البواخر خسرت سنة ١٨٨٢ نحو ٢٩ الف جنيه ثم زاد دخلها على نفقاتها قليلاً وبقي كذلك الى ان اخذ الكلّف يستورما بطول الزمن فصارت نفقاتها العادية ونفقات اصلاحها تزيد غالباً على دخلها

(١٠) المعارف * حبذا لو امكننا ان نكتب عن تقدُّم المعارف ما كتبناهُ عن تقدُّم البريد لكننا لا نبغي تقدُّم المعارف بذلك فقد كان عدد المدرسين عند نظارة المعارف ٣٥٤ منذ خمس عشرة سنة فبلغوا في العام الماضي ٦٥٠ . وكان عدد التلامذة ٥٦٤١ فبلغوا ١١٣٠٤ اي انهم تضاعفوا عدداً مع ان المكان لم يزيدوا سوى ٤٣ في المئة ونفقات التعليم من الحكومة كانت نحو ٧٢ الف جنيه فبلغت في العام الماضي نحو ٩٤ الف جنيه . والاجور التي دفعها التلامذة كانت ٤١ الف جنيه فبلغت نحو ٦٦ الف جنيه . اما زيادة المدارس الاهليَّة على انواعها فسنفرد لها مقالة خاصَّة في هذا الجزء او الذي يليهِ

(١١) مصلحة الري * اكبر اسباب التقدم المادي والادبي في هذا القطر اصلاح الري واهتمام الحكومة بابطال السخرة فقد كان عدد الذين سخّروا لاعمال الري سنة ١٨٨٢ نحو ٢٦٧ الفاً ولم يبلغ عددهم في العام الماضي سوى احد عشر الفاً . وكلمة سخّروا لا تؤدي المعنى المراد الاَّ عند الذين عرفوا السخرة وذاقوا مرارتها . وقد استعانت الحكومة عن تسخير الناس باصلاح الجسور وتنويرها واستئجار العمال للاعمال فانفقت على ذلك في العام الماضي نحو ٣٩٠ الف جنيه وهي تنفق كذلك منذ ثماني سنوات الى الآن . وقد امنت البلاد من الشرق والغرق فضلاً عن اتساع نطاق الزراعة الصيفيَّة الى حدّ لم يرهُ القطر المصري في عصر من العصور الغابرة . والفضل في ذلك لنظارة الاشغال . ثم ان اتساع نطاق الري اضطرَّ نظارة الاشغال الى انشاء المصارف وهي تنفق على انشائها الآن اكثر من مئتي الف جنيه في السنة فحفظت بذلك الاطيان القديمة من التلف واحيت اراضي كثيرة كانت مواتاً حتى ان الفدان الذي لم يكن يباع بخمسة جنيهات قبل انشاء مصرف بجانبهِ بيع يوم التصميم على انشاء المصرف بعشرين جنيهاً . وقد شرعت نظارة الاشغال في انشاء هذه المصارف سنة ١٨٨٤ فانشأت منها حينئذٍ ٣٢ كيلو متراً ثم اخذت تزيد طولها ينشأ منها عاماً بعد عام فانشأت في العام الماضي وحدهُ ٣٦٠ كيلو متراً . وتبلغ نفقات نظارة الاشغال الآن نحو مليون وربع من الجنيهات وهي اموال تنفق كلها لفائدة اصحاب الاطيان

(١٢) الديون المصرية * دخلت سنة ١٨٨١ وعلى القطر المصري نحو ٩٨ مليون جنيه اموال استدانها اسمعيل باشا الخديوي الاسبق وانفق الجانب الاكبر منها على ما لا فائدة منهُ لهذا القطر

ثم عُقد القرض المضمون سنة ١٨٨٥ ومقداره نحو تسعة ملايين ونصف من الجنيهات لايفاء تعويضات الاسكندرية واستبدال بعض المعاشات فبلغ الدين المصري حينئذٍ ١٠٤ ملايين من الجنيهات. ثم جعلت الحكومة تستهلك بعضهُ رويداً رويداً حتى لم يبقَ منهُ سوى مئة مليون ومليون من الجنيهات وكانت قيمة الدين الممتاز ٢٣ مليوناً وفائدتهُ ٥ في المئة سنوياً فحوّل سنة ١٨٩٠ وجعلت فائدتهُ ٣ ½ في المئة فقط ولكن اضطرّت الحكومة ان تعوض اصحابهُ عما خسروهُ وتجعل قيمتهُ ٢٩ مليوناً فارتفعت قيمة ديونها الى نحو ١٠٧ ملايين من الجنيهات ثم جعلت تقتصد وتستهلك الدين رويداً رويداً حتى اذا طرحنا المال الذي عندها الآن من الدين الذي عليها لم يبقَ منهُ سوى ٩٨ مليون جنيه. وهمُّ من ذلك أن الحكومة كانت تدفع ربا دينها منذ خمس عشرة سنة ٤١٩١٠٦٦ وهي لا تدفع الآن سوى ٣٩٠٨٦٨٤ ولما كانت فائدة الدين الممتاز خمسة في المئة كانت المئة منهُ تباع بستة وتسعين والآن فائدة المئة منهُ ٣ ½ فقط والمئة منهُ تباع بمئة واثنين. والموحّد الذي فائدتهُ ٤ في المئة كانت المئة منهُ تباع بواحد وسبعين وهبطت الى ٦٣ ½ سنة ١٨٨٥ حينما كانت الحكومة المصرية على شفا الافلاس ثم ارتفع ثمنهُ رويداً رويداً والمئة تباع منهُ الآن بمئة وستة ونصف وما ذلك الاّ لثقة اصحاب الاموال بمالية الحكومة المصرية ونجاح القطر المصري واستطاعتهِ على ايفاء ما يطلب منهُ دائماً

وقد جمعنا في الجدول التالي اكثر ما ذكرناهُ في هذه المقالة لتسهل مراجعتهُ على الباحثين في ارتقاء هذا القطر واخترنا سنة ١٨٨١ لا سنة ١٨٨٢ لان سنة ١٨٨٢ كانت سنة الثورة فقد لا يصحّ الاستدلال بها

	سنة ١٨٨١	سنة ١٨٩٧
دخل الحكومة	٩٢٢٩٩٦٥ جنيهاً	١١٤٤٢٩٣٧ جنيهاً
نفقاتها	٨٧٣٤٦٧٦ »	١٠٧٥٢٧٧٦ »
ضرائب الاطيان	٤٨٦٢٣٣٠ »	٤٧٧٦٩٣٩ »
مساحتها	٤٧١٤٤٠٦ افدنة	٥٣٢٨٦٠١ فدان
ثمن الملح	١٩٤٧٩٤ جنيهاً	٠١٩١٥٨١ جنيهاً
دخل سكك الحديد	١٣٠٣١٤١ »	١٩٨٢٨٨٣ »
صافي دخلها	٨٥٤٣٣٧ »	١٠٠٣٨٣٠ »
ركاب الدرجة الثالثة	٣١٠٠٦٦٥ نفساً	٩٤١٢٧٩٥ نفساً
» » الثانية	٤١٥٠٥٠ »	١١٥٣٦٤٣ »

	سنة ١٩٠١	سنة ١٨٩٧
ركاب الدرجة الاولى	٠٨٣٥٤٦ نفساً	٠١٧٦١٠٨ نفساً
عدد التلغرافات	٠٦١٨٥٣٢	٠٢٤٩٨٨٣٤
اجرتها	٠٤٥٩٢١ جنيهاً	٠٤٦٣٩١ جنيهاً
عدد المكاتيب مع داخل القطر	٣٥٣٣٠٠٠	١١٣٠٠٠٠٠
" " " خارج القطر	٩٣٨٠٠٠	٠٢٢٥٠٠٠٠
عدد الجرائد مع داخل القطر	١٩٦٥٠٠٠	٧٠٠٠٠٠٠
" " " خارج "	٣٠٨٠٠٠	٩٨٠٠٠٠
مرتبات العائلة الخديوية	٣٥٦١٦٥ جنيهاً	٢٥٤٣٦١ جنيهاً
ميزانية المعارف	٨٣٢٤٣ "	٩٣٧٧٨ "
المدفوع من التلامذة فوقها	٣٢٤٦٥ "	٦٥٦١٩ "
عدد التلامذة	٣٥٦٦	١١٣٠٤
ميزانية نظارة الاشغال	٤٦٦١٣٨ جنيهاً	٩١٤٤٧٤ جنيهاً
عدد المخفرين في العونة	٣٨١٢٨٣	١١٠٦٩
غلة القطن	٢١٩٢١٨٤ قنطاراً	٥٨٧٩٤٧٩[1] قنطاراً
غلة السكر	١٣٩٧٧٥٥٠ كيلو	٧٢٩١٨٢٥٠ كيلو
ربا الدين المصري	٤٢٣٥٩٢١ جنيهاً	٣٩٠٨٦٨٤ جنيهاً

فمن نظر إلى هذه الارقام رأى بادئ رويّة دلائل الارتقاء العظيم الذي ارتقاهُ هذا القطر منذ خمسة عشر عاماً إلى الآن وودّ ان يشمل هذا الارتقاء كل السلطنة العثمانيّة بل كل الممالك الشرقيّة . ولا يسعهُ حينئذٍ الاّ ان يقف و ينظر في اسباب هذا الارتقاء وقد يخطر ببالهِ ما يقولهُ بعض المكابرين وهو ان الارتقاء طبيعي ولا بدّ منهُ اي ان مرور خمس عشرة سنة على القطر المصري كافٍ لزيادة غلة السكر مئة اضعاف وغلة القطن ضعفين وتقليل عدد رجال الصفرة من ٣٨١ الفاً الى ١١ الفاً وزيادة عدد المكاتيب من ثلاثة ملايين الى احد عشر مليوناً وعدد التلغرافات من ٦٨٨ الفاً الى مليونين و٤٩٨ الفاً . ولكن ما من احد فيهِ مسكة من العقل الاّ و يعترض على ذلك حالاً بقولهِ ولماذا لم ترتقِ البلاد هذا الارتقاء قبل الآن وعلى م تأخرت البلدان المجاورة لها . فهذه بلاد السودان كانت متصلة بمصر منذ

(١) هذا موسم سنة ١٨٩٦ اما موسم سنة ١٨٩٧ فاكثر من ذلك كثيراً ولا يعرف مقداره تماماً حتى الآن

خمسة عشر عاماً وانفصلت عنها وسارت في خطة الاستقلال المحض وحكمها الناس من اهلها وساروا بها على منهاج الارتقاء الطبيعي فوصلوها الى اسفل دركات الانحطاط اتلفوا زرعها وافنوا ضرعها وبادوا سكانها ولاشوا قوتها وقد كانت جنودها تلاقي الجنود المصرية منذ خمسة عشر عاماً فتخثن فيهم بل كانت الجنود الانكليزية تلاقي الاهوال منها اما الآن فصارت تفرّ من وجه الجنود المصرية ولا تقتل منهم عشرة حتى يقتلوا منها الفاً . واهالي السودان من عرب وسودانيين ليسوا دون المصريين بسالة بل هم من اصل سكان افريقية اما العرب منهم فتاريخهم منذ الفين وخمس مئة عام الى الآن يشهد لهم انهم ابطال اشدّاء وقت اللقاء يأبون الضيم ويحامون العار كبار النفوس كبار الهمم يترنمون بقول شاعرهم وفيلسوفهم القائل

تهوّن عندي هيّني كل مطلب ويقصر في عيني المدى المتطاولُ

واما السودانيون الذين في جيش الخليفة فاخوانهم في الجيش المصري الاورط السودانية التي نتقي بها الاعداء ونذخرها لنوائب الدهر وتمشي مع فخامة الجنود الانكليزية قدماً لقدم مع حماة حمى بريطانيا العظمى وسيفها الصقيل الذي فتحت به ممالك الارض مع اولئك الابطال الذين يسيرون إلى مواقع القتال كانهم القضاء المنزل . فليقل لنا كل متملك باهداب الخال اي ارتقاء طبيعي فصل بين السودانيين المقيمين في السودان واخوانهم المقيمين في مصر فجعل النصر حليف هؤلاء والفشل رفيق اولئك وكلهم من طينة واحدة يموتون في حومة الوغى ولا يخطر لهم الفرار ببال. أليس ان النظام الذي دُرّبت جنودنا عليه والاسلحة التي تمرنوا عليها والعلم الحديث الذي صنع اسلحتهم والعقل الاوربي الذي سدّد خطواتهم والخنكة الانكليزية التي دربتهم على الكر والفر والهجوم والدفاع وسائر الحركات العسكرية كل ذلك من نتائج العمران الاوربي وهو الذي رقّى الجنود المصرية وجعل هذا الفرق الكبير بينها وبين الجنود السودانية

ومنذ خمسة عشر عاماً كان القطر المصري يستمدّ اكثر المعارف الحديثة من مطابع سورية وجرائدها وكان اهالي سورية في نعيم مقيم بالنسبة الى اهالي القطر المصري. والسوريون من فينيقيين وسريان وروم وعرب كلهم من امم اشتهرت بعلو الهمة ومحبة المجد . وقد تفرّق ابناء سورية الآن في مشارق الارض ومغاربها فتجد تجارهم في لندن وليفربول ومنشستر وباريس ومرسيليا ونيويورك وبرستن وريوجنايرو وملبرن وبوكاهاما وفي كل مكان تذهب اليه السفن البخارية والتجار حليفهم حيثما ساروا. واذا دخل اوربي بلادهم فقلما يستطيع ان يناظرهم فيها. وبلادهم ارض الموعد في الطيب بقعة من المعمورة كانت تعدّ اربعة عشر مليوناً بالرخاء وهي لا تكفي الآن سكانها وهم اقل من مليونين فيضطرون ان يهاجروا منها في طلب

الرزق . فلماذا لم ترتقِ الارتقاء الطبيعي المزعوم بل لماذا رجعت التهتري منذ خمسة عشر عاماً الى الآن بينما كانت مصر جارتها آخذةً في هذا الارتقاء السريع

أيستطيع منصف ان ينظر في احوال هذين القطرين و يتأمل ما كانا عليهِ منذ عشرين عاماً بما وصلا اليهِ الآن الواحد في ارتقاء مستمرّ والآخر في انحطاط مستمر ثم تخفى عليهِ اسباب هذا الارتقاء وهذا الانحطاط . نعم ان الارتقاء من سنن الطبيعة ولكنهُ خاضع لاسباب معلومة لا يقوم الاَّ بها والانحطاط من سنن الطبيعة ايضاً ولهُ اسباب اذا توارت ادَّت اليهِ . فليقابل المنصف القطر المصري بالقطر السوداني او القطر المصري بالقطر الشامي وليبحث عما تغير في هذهِ الاقطار الثلاثة منذ خمسة عشر عاماً إلى الآن فلا تخفى عليهِ الاسباب الَّتي دعت إلى تقدُّم قطر منها وتأخر قطرين . وانما نقترح هذا البحث على القراء لا لمجرَّد العلم بهِ بل لكي يكثر حديثهم فيهِ عسى ان تبلغ اصواتهم آذان الذين يقدرون ان يصلحوا لو شاؤوا وان يداووا العلل قبل ان تودي بالعليل . والاصلاح ميسور بدليل ما حدث في القطر المصري في هذهِ الاعوام القليلة فهو مثال حيٌّ امام كل الذين يدهمهم الامر في الولايات العثمانيَّة فعسى ان يلتفتوا اليهِ وتأخذهم الشفقة على وطنهم بل على انفسهم لانهُ اذا دامت الحال على هذا المنوال عشرين سنة أُخرى اقفرت البلاد وهجرها العباد ان لم يتملكها الاجنبي قبل ذلك

مستقبل الصين

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله فاعلُ

ولكن اعمال الطبيعة واعمال الانسان تجري على سنن معلومة تعرَّف بالاختبار ولو لم تُعرَّف بضرب الحصى وزجر الطير فيزرع زيد قطنهُ اليوم بزوراً صغيرة سوداء ويعلم علم اليقين انهُ ينبت منها بعد ثلاث اخضر الورق منشعب الاغصان يبدو نورهُ بعد حين ويخلفهُ جوز فيهِ قطن ناصع البياض فيجنيهِ في اواخر فصل الخريف . وعلى هذا اليقين اشترى الاطيان وحرث وتزرع وتضرب عليها الضرائب ويستدين الفلاَّح مالاً ليوفيهُ من ثمن القطن ويدينهُ التاجر واثقاً ان القطن يجني في حينهِ و يباع بنحو الثمن الذي بيع بهِ في العام الماضي وما من احد من كل ارباب الزراعة يقول ما قالهُ الشاعر

واعلمُ علم اليوم والامس قبلهُ ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

بل يقولون كلهم انا نعلم علم اليوم والامس ونستنتج علم ما في الغد مما حدث اليوم